طبيعة الحوار في القرآن الكريم

بقلم الدكتور

سوفي إبراهيم علي عبد الله

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والفلسفة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبة أجمعين وبعد .

لقد أطلق الإسلام العقول من أغلال الوثنية وحطم بعض الفلسفات الإنسانية ومنح المسلمين حرية التفكير وحرية العقيدة فكان المسلمون الأولون هم قادة الأرض علمياً وفكرياً واقتصادياً واجتماعياً وخلقياً بحافز من تعاليم القرآن وآدابه وتشريعاته مع وقوفهم على حضارة غيرهم من الأمم واقتباسهم من هـذه الحضارات ما ينفعهم كحضارة الفرس والروم والهند والإغريق .

ومن أظهر أشراط الحرية وأقوم سبلها وأصلحها طريقة الحوار والجدال بالتى هى أحسن لأن الحوار الصحيح لا يتحقق إلا بمناقشة الآراء على بساط الحرية والصراحة اللتين هما أقوم سبيل لحل المعضلات وتوضيح المبهمات وعرض المعتقدات وبلورة الآراء وتوحيدها وتقويتها .

فبفضل الحوار كان القرآن الكريم يوقظ النفوس النوامة ويكسب أصحابها شحنات من الإيمان والعزم والتصميم يستطيعون بفضلها مقاومة الآراء الشيطانية وتهذيب الشهوات البشرية وبسط سلطان العقل والإيمان على أقوال المؤمنين .

وبفضل الحوار كان القرآن يقيم الحجة والبرهان على المشركين وأهل الكتاب وغيرهم من الذين يدعوهم إلى الإيمان بالله تعالى واتباع رسله وتطبيق الشريعة المنزلة .

حاور القرآن الكريم المخالفين وسلك معهم المنهج القرآنى الإلهى الذى جاء فى قوله تعالى : ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة

وجادلهم بالتى هى أحسن أن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين[١] .

واتبع القرآن طريقه الحوار وهو يرد كيد الكائدين ويكشف أخطاءهم ويجلى ما بأنفسهم من آراء ما أنزل الله بها من سلطان وعقد لم تزدها الأيام إلا تعقيداً وتطاولا على الحق .

وبفضل حوار القرآن الكريم رسم للمسلمين السياسة التى يستطيعون بفضلها الدفاع عن الحق وإحراز النصر وإفحام المكابرين والمتسلطين من الخصوم والأعداء الذين يتربصون بهم الشر .

والمتتبع لما جاء فى القرآن الكريم يقف على أنواع الحوار والتى تتمثل فى الأنواع الآتية :

١ — الحوار الجدلى : ويبرز فى القضايا المتعلقة بالعقيدة والتى أثارها الخصوم ليزرعوا الشك فى النفوس .

٢ — الحوار التشريعى : وتظهر فيه القضايا التى كانت أصلا لحكم تشريعى أو الأحداث التى أظهرت التطابق بين أحكام التوراة قبل تحريفها وبين التى جاء بها القرآن .

٣ — الحوار الإجتماعى: وهو الذى يهتم ببعض العلاقات الإجتماعية التى كانت قائمة بين المسلمين وبين واليهود وغيرهم من أصحاب الديانات المختلفة .

---

(١) سورة النحل آية ١٢٥ .

٤ — الحوار المصيرى : وهو الذى تحدد أثناءه مصير اليهود بالمدينة المنورة خاصة والجزيرة العربية عامة[١] .

أن جوانب الحوار فى القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة وتهدف هذه الدراسة بعون الله إلى بيان ماهية الحوار والفرق بين الحوار والجدال وطبيعة الحوار فى القرآن الكريم ونماذج من الحوار فى كتاب الله تبارك وتعالى والإشارة إلى بعض دواعى وجود الحوار فى القرآن الكريم ونماذج من طرق الاستدلال القرآنى فى الرد على الخصوم

قيمة الحوار

قضت مشيئة الله خلق الناس بعقول ومدارك متباينة إلى جانب اختلاف الألسنة والألوان والتصورات والأفكار وكل تلك الأمور تفضى إلى تعدد الآراء والأحكام وتختلف باختلاف قائلها وإذا كان اختلاف ألسنتنا وألواننا ومظاهر خلقنا آية من آيات الله فإن اختلاف مدار كنا وعقولنا وماتثمره تلك المدارك والعقول آية من آيات الله كذلك ودليل من أدلة قدرته البالغة وإن إعمار الكون لا يتحقق لو أن البشر خلقوا سواسية فى كل شىء وكل ميسر لما خلق له (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولايزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم)[٢] ،

إن الحوار الذى وقع فى سلف هذه الأمة — ولا يزال — جزء من

---

(١) حوار الرسول ﷺ مع اليهود د/ محسن بن محمد ص ١٥

(٢) سورة هود ١١٨ — ١١٩ أنظر ، أدب الإختلاف فى الإسلام د/طه جابر فياض .

هذه الظاهرة الطبيعة فإن لم يتجاوز الحوار حدوده بل التزمت آدابه كان ظاهرة إيجابية كثيرة الفوائد .

بعض فوائد الحوار :

إذا التزم الناس حدود الحوار وتأدب الناس بآدابه كما عرض له القرآن كان له بعض الإيجابيات منها :

١ — أنه يتيح — إذا صدقت النوايا — التعرف على جميع الإحتمالات التى يمكن أن يكون الدليل رمى إليها بوجه من وجوه الأدلة .

٢ — وفى الحوار — رياضة للأذهان وتلاقح للآراء وفتح مجالات التفكير للوصول إلى سائر الإفتراضات التى تستطيع العقول المختلفة الوصول إليها[1] .

٣ — تعدد الحلول أمام صاحب كل واقعة ليهتدى إلى الحل المناسب للوضع الذى هو فيه بما يتناسب ويسر هذا الدين الذى يتعامل مع الناس من واقع حياتهم هذه الفوائد وغيرها يمكن أن تتحقق إذا بقى الحوار ضمن الحدود والآداب التى يجب الحرص عليها ومراعاتها ولكنه إذا جاوز حدوده ولم تراع آدابه فتحول إلى جدال وشقاق كان ظاهرة سلبية سيئة العواقب .

وقد ذكر الإمام الغزالى فى كتابه الأحياء أهم الأسس التى تبنى عليها آداب الجدل والمجادل فقال : إن من أدب المجادل الذى يقصد بجداله

(١) أدب الإختلاف فى الإسلام د/ طه جابر ط ١٩٧١ ص ٢٥

وجه الله واحقاق الحق أن يكون جداله مع خصمه فى خلوته لا فى حفل جامع فإن الخلوة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن ودرك للحق وفى حضور الجمع الكثير ما يحرك دواعى الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان أم مبطلا فحرصهم إذاً على المحافل والمجامع ليس لله ولا لوجه الحق فقد يخلو الواحد منهم بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما اقترح عليه صاحبه بعض الأمور فلا يجيب فإذا انتظم بجمع أو تكامل عقد محفل لم يغادر قوى الاحتيال منزعا حتى يكون هو المختص بالكلام وفارس الميدان ومن أدب المحاور أيضا أن يكون فى طلب الحق كناشد الضالة سواء لديه أن تظهر الضالة على يديه أو على يد من يعاونه فيرى رفيقه ومعيناً لا خصما ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له طريق الحجة وهكذا كانت مشاورات الصحابة رضى الله تعالى عنهم حتى أن امرأة ردت على عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ونبهته على الحق وهو فى خطبته على ملأ من الناس فقال : أصابت امرأة وأخطأ رجل وسأل رجل عليا رضى الله عنه فأجابه فقال : ليس كذلك ياأمير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال : أصبت وأخطأت وفوق كل ذى علم عليم) .

واستدرك ابن مسعود على أبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما فقال فقال أبو موسى : لا تسألونى عن شىء وهذا الحبر بين أظهركم وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل فى سبيل الله فقتل فقال : هو فى الجنة وكان أمير الكوفة فقام ابن مسعود فقال : أعده على الأمير فلعله لم يفهم ؟ فأعادوا عليه فأعاد الجواب ، فقال : ابن مسعود وأنا أقول إن قتل فأصاب الحق فهو فى الجنة فقال أبو موسى : الحق ما قال)[1] .

ومن آداب الحوار أن لا يحاور ويبحث فى الأوقات التى يتغير فيها

(١) الأحياء للغزالى حـ ١ ص ٤٤

مزاجه ويخرج عن حد الاعتدال لأن المزاج إذا زاد على حد الاعتدال فى الحرارة كان معه العجله وقلة التوقف وعدم الصبر وسرعة الضجر وإذا زاد فى البرودة على حد الاعتدال أورث السهو والبلادة وقلة الفطنة وإبطاء الفهم

ومن الآداب أن لا يجارى خصمه فى الشغب إن شاغبه ولا يرد عليه إن أربى فى كلامه بل يستعمل الهدوء والوقار ويقصد مع ذلك وضع الحجة فى موضعها فإن ذلك أغلظ على خصمه من السب .

ومنها أن لا يستصغر خصمه ولا يتهاون به وإن كان صغير المحل فى الجدل فقد يجوز أن يقع لمن لا يؤبه له الخاطر الذى لا يقع لمن فوقه فى الصناعة وقد أوصى القدماء بالاحتراس من العدو وألا يستصغر صغير منه والخصم عدو لأنه يجاهدك بلسانه وهو أقطع كسيفه كما قال أردشير[1] .

وقد لخص الاستاذ محمد محى الدين عبد الحميد مجموعة من هذه الآداب فى رسالة الأدب فقال . وينبغى للمتناظرين أن يلتزما الآداب الآتية .

أن يتحرزا من إطالة الكلام ومن اختصاره

أن يتجنبا غرابة الالفاظ واجمالها .

أن يكون كلامهما ملائما للموضوع

أن لا يسخر أحدهما من صاحبه

أن يقصد كل منهما ظهور الصواب ولو على يد صاحبه .

(١) نقد النثر لأبى الفرج قدامه بن جعفر البغدادى ص١٣١

ألا يتعرض أحدهما لكلام صاحبه قبل أن يفهم غرضه منه .

أن ينتظر كل منهما صاحبه حتى يفرغ من كلامه[1] .

هذه آداب الجدل والحوار ليكون المجادل على بصيره عندما يدخل غمار المعترك فيبقى ثابت الجأش واضح المنهج فى طلب الحق وتقريره وقمع الباطل وازهاقه .

هل هناك فرق بين الحوار والجدال والمناظرة والمناقشة :

المناظرة : مفاعلة على بابها من اقتضاء الطرفين وهى من النظر أو النظير .

والنظر فى الاصطلاح : هو الفكر المؤدى إلى علم أو غلبة ظن .

فالمناظرة فى اللغة : المقابلة بين اثنين كل منهما ينظر إلى الآخر أو كل منهما ينظر بمعنى يفكر والفكر هو المؤدى إلى علم أو غلبة ظن وهى فى الاصطلاح المحاورة فى الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر مع رغبة كل منهما الحق فكأنها بالمعنى الاصطلاحى مشاركتهما فى النظر الذى هو الفكر المؤدى إلى علم أو غلبه ظن ليظهر الصواب[2] .

اما الجدال أو المجادلة فقد جاء فى مختار الصحاح : جادله خاصمه ومجادلة وجدالا والاسم : الجدل وهو شدة الخصومة وقيل مشتق من

(١) الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد رسالة الآداب ص ١٧٦ — ١٧٧

(٢) آداب البحث والمناظرة الشيخ محمد الأمين ص ٣

الجدل وهو الفتل ومنه زمام مجدول جاء فى المفردات[١] جدلت الحبل أى أحكمت فتله وجدلت البناء أى أحكمته وقيل مشتق من الجدالة التى هى على الأرض فكأن كل من الخصمين يقاوم صاحبه حتى يغلبه فيكون كمن ضرب به الجدالة[٢]

قال الشاعر :

قد أركب الآلة بعد الآلة وأترك العاجز بالجدالة

منعفراً ليست له محالة[٣]

وقد ورد اللفظ فى القرآن باشتقاقات مختلفة ، جاء مضارعاً ، وماضيا وأمراً واستفهاماً .

وورد مصدراً لصيغ مختلفة جدلا جدالا ولم يرد بصيغة (مجادلة) مفاعلة ، والذى نلحظه من استعمالات القرآن الكريم أن استعماله بمعناه المذموم هو الغالب .

(ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير[٤] وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون[٥]

---

(١) المفردات فى غريب القرآن ص ١٢٣ الراغب الاصفهانى كتاب الجيم

(٢) جاء فى أساس البلاغة للزمخشرى ص ٨٥ جدله أى القاه على الجدالة

(٣) الجامع لأحكام القرآن القرطبى جـ٢ ص٤١٠

(٤) الحج ٨

(٥) الحج ٦٨

وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب[١].

فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج[٢] .

وكان الإنسان أكثر شىء جدلا[٣] .

يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها[٤] أى تخاصم .

وإذا أخذنا مثلا قوله تعالى (فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج) . البقرة ١٩٧

فقد اختلف العلماء حول المراد بالجدال فى هذه الآية لكنهم يتفقون على أنه شىء مذموم على النحو التالى :

الجدال بمعنى المراء حتى تغضب مسلماً فينتهى إلى السباب ابن مسعود ابن عباس عطاء .

الجدال بمعنى السباب قتادة .

الجدال بمعنى المماراة فى الشهور .

الجدال بمعنى أن تقول طائفة لأخرى : حجنا أبر من حجكم .

الجدال بمعنى الفخر بالآباء[٥] .

وقد يجىء الجدال بالمعنى المحمود : قال تعالى : (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير)[٦] فقد جاءت الصيغة هنا بمعنى الحوار الهادىء فالجدال والحوار

---

(١) غافر ٥ (٢) البقرة ١٩٧

(٣) الكهف ٥٤ (٤) النحل ١١١

(٥) الجامع لأحكام القرآن — القرطبى جـ ٢ ص ٤١٠

(٦) المجادلة ١

يشتركان فى إيضاح الحق والصواب إذا أريد بالجدال معرفة الصواب ويفرق علماء اللغة بين المحاورة والمجادلة فى المدلول .

فأما المحاورة فهى عندهم مراجعة الكلام يقال حاورته أى راجعته الكلام وتحاور القوم أو الجماعة راجعوا الكلام بينهم فمادة المحاورة تدور حول الرجوع .

وأما المجادلة فهى كما يفسرها اللغويون اللدد فى الخصومة وما يكون فى نحو من ذلك ولكنها فى كل صورة تدور حول التخاصم بالكلام .

ويمكن أن نخرج من كلام اللغويين بفارق واضح بعض الوضوح فى مدلول اللفظين .

فالجدال والمجادلة والجدل (بتحريك الدال) كل ذلك ينحو منحى الخصومة بمعنى أن استعمال هذه المادة يكاد يلزم الخصومة فى أى صورة من صورها ولو بمعنى التمسك بالرأى والتعصب له[1] .

وأما المحاورة فهى مجرد مراجعة الكلام بين المتكلمين ولا تلزم فيه صورة الخصومة وإنما تغلب عليها صورة الكلام المتبادل بين طرفين فى أسلوب لا تقصد به الخصومة أو لايراد به بالضرورة الاتجاه إلى الخصومة ولكن جدال بالتى هى أحسن ، فالجدال والحوار يشتركان فى إيضاح الحق إذا أريد بالجدال معرفة الصواب ويفترقان فى أن الجدال السىء يطمس معالم الحق ويعمد إلى مناصرة الباطل .

والمحاورة وردت مادتها فى القرآن الكريم فى ثلاثة مواضع ، اثنان منهما فى موضع جرى فيه الحوار القرآنى بين رجلين : أحدهما كافر

(١) أسلوب المحاورة د / عبد الحليم حفنى ص ١١

غنى والآخر مؤمن فقير[1] على النحو التالى :

بدأ الكافر حواره مع صاحبه المؤمن بالافتخار عليه بالولد والحشم والأعوان فقال لصاحبه : أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً ، لأنه كان له جنتان زاخرتان بالفاكهة يحف بهما نخل كثير وبينهما زرع وكلتا الجنتين أعطت أكلها أى ثمرها الشهى كالأعناب وغيرها من أنواع الفاكهة المتوافرة التى لم تنقص منهما شيئاً بسبب الماء الجارى بينهما ليسقى زرعهما دائماً .

وكان لهذا الكافر غير الجنتين ثمر أى مال ثمره وكثره ونماه وكان له أولاد وأعوان فأبطره الغنى وأعماه عن تقلبات الزمان وكوارث الأيام وأن كل نعيم لامحالة زائل وأن دوام الحال من المحال يحسب أن ماله أخلده وأن جنته لن تفنى أبداً[2] [ودخل جنته وهو ظالم لنفسه] أى ضار لها بعجبه وكبريائه وغروره [قال ما أظن أن تبيد هذه أبداً] لطول أمله وغفلته واغتراره بإمهال الله تعالى له حتى أنكر قيام الساعة وأعلن إنكاره قائلا « وما أظن الساعة قائمة » ثم قال لصاحبه « ولئن رددت إلى ربى » يوم البعث كما زعمت لأجدن خيراً من جنتى منقلباً أى مرجعاً وعاقبة لأن الذى أكرمنى فى الدنيا سوف يكرمنى فى الآخرة بجنة خالدة خير من جنة فانية .

فراجعه صاحبه المؤمن وبدأ محاورته بتوجيهه إلى الصواب وإرشاده إلى الحق وهو الإيمان بالله فى أسلوب إنكارى وتعجبى وقال له صاحبه

(١) روى أن الرجلين أخوان من بنى إسرائيل المؤمن إسمه يهوذا والكافر إسمه براطوس : تفسير البيضاوى ، التفسير الكبير للفخر الرازى ج ٢١ ص ١٢٤ ط إحياء التراث .

(٢) الحوار فى القرآن الكريم الشيخ خلف محمد ص ١٧

وهو يحاوره : [أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا] ؟ وتشتمل محاورة المؤمن على برهان حسى وهو : خلق الله له من تراب ثم من نطفة وهذه النطفة حصلت من الغذاء والغذاء حاصل من التراب كما خلق آدم من تراب ولعل فى ذكر التراب تنبيهاً وردعاً لمن أنكر أو استبعد إعادة الموتى أحياء يوم البعث بعد أن صاروا تراباً لأن إعادة الأشياء أهون وأيسر من البدء على غير مثال فى العادة ثم وجه نظر الكافر إلى أن مايدعوه إليه من التوحيد قد رضيه لنفسه واعتقده اعتقاداً جازماً فقال : [لكنا هو الله ربى ولا أشرك بربى أحداً] ووجه نظره كذلك إلى ماينبغى أن يقوله إذا دخل جنته بدل التفاخر بها والاغترار ببهجتها وكثرة ثمارها فقال له : هلا [إذا دخلت جنتك قلت : هى : ماشاء الله] وقدره لا ماشاء العبد ودبره [لا قوة إلا بالله] ؟ !

ثم راجع افتخاره وغروره بماله وولده وتوقع أن يصيبه فى جنته صواعق من السماء فتحرقها أو يغور ماؤها فى باطن الأرض فيجف زرعها وتهلك ثمارها كدأب كل كافر بطر بنعمة الله فقال له : [إن ترن أنا أقل منك مالا وولداً فعسى ربى أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء] أى صواعق[1] فتصبح صعيداً زلقاً ، أى أرض ملساء يزلق عليها بسبب استئصال أشجارها وزرعها [أو يصبح ماؤها غوراً] فى باطن الأرض فلن تستطيع إعاده إلى الجنة فتبيد جنتك وتندم على ما أنفقت فيها ولن ينفعك الندم بعد وقوع الكارثة .

وفجأة حدث ما توقعه المؤمن لصاحب الجنة [وأحيط بثمره]

(١) تفسير ابن كثير .

أى أهلك جميع ثمرة من جنة وأموال [فأصبح يقلب كفيه ندما وحسرة] على ما أنفق فيها وهى خاوية على عروشها أى ساقطة عرشها العليا على الأرض ويتمنى [ويقول يا ليتنى لم أشرك بربى أحداً] لأنه أيقن أن إصابته فى جنته وماله كانت بسبب شركه ولن ينفع التمنى بعد فوات الأوان ولات ساعة مندم .

واضح أن ماجرى بين الأخوين لايمثل خصومة وإنما يمثل فى الواقع أعنى فى المنهج اختلافاً ولعلنا نلاحظ أن القرآن الكريم قد عبر عن موقف الرجلين بلفظ التحاور الذى يشير إلى المراجعة فى الكلام ولم يأت بلفظ الجدال الذى يشير إلى الخصومة .

ومن المواضع التى ورد فيها لفظ التحاور فى القرآن الكريم والذى يشير إلى أن المجادلة والمحاورة فى مدلوليهما واحد قول الله تعالى فى قصة جدال خولة بنت ثعلبة الخزرجية التى جادلت الرسول محمداً ﷺ فى شأن الرجوع إلى زوجها أوس بن الصامت بعد أن ظاهر منها وحرمها على نفسه فلما ذهبت إلى الرسول ﷺ قالت يا رسول الله : إن زوجى قال لى : أنت على كظهر أمى وكان هذا الظهار من أشد أنواع الطلاق فى الجاهلية لأنه يحرم الزوجة على زوجها كتحريم الأم على ولدها ولكنى أريد الرجوع إليه .

قال لها النبى ﷺ : ما أوحى إلى فى هذا شىء وما كان النبى ليقضى بأمره وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ولكنها استمرت تحاوره وتجادله وتبسط مأساتها وتقول يا رسول الله إن لى منه صبية صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلى جاعوا :

فقال لها النبى ﷺ : ما أوحى إلى فى هذا شىء ؟ !

فقالت : يا رسول الله أوحى إليك فى كل شىء وطوى عنك هذا ؟؟

قال لها النبي : هو ما قلت لك ، فقالت : اشكو إلى الله فاقتي ووحدتي وفراق زوجي وابن عمي بعد أن كبرت سني ونفضت له بطني وما زالت تتضرع إلى الله بالدعاء حتى استجاب لدعائها ، وهو سميع قريب فأنزل الله قوله تعالى : قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لعفو غفور[١] .

ذكر في أول الآية : قول التي تجادلك « والله يسمع تحاور كما وهذا يشعر بأن الحوار والجدال بمعنى واحد ويؤيد ذلك قول التي تحاورك في زوجها[٢] .

فهو حوار وجدال بالتي هي أحسن واستدرار العطف والرحمة ولابد من الإشارة إلى أن المحاورة تطلق على مراجعة الكلام المجرد من الخصومة كتحاور العلماء وقد يطلق على مراجعة الكلام ولا تخلو من الخصومة ومن اللدد أحيانا في الخصومة كمحاورة الذين يحاجون في الدين وهنا يمكن أن تطلق المحاورة على المجادلة فلفظ الحوار يمكن التوسع فيه للدلالة على موقف الخصومة وموقف غير الخصومة[٣] .

ومن نافلة القول أنه شاع بين الناس استخدام لفظ المناقشة في معنى المحاورة وهذا خطأ في الاستعمال لأن لفظ المناقشة عند علماء اللغة استقصاء الحساب أي استيفاء الحساب والحساب يكون بين طرفين عادة

(١) أول سورة المجادلة .
(٢) انظر تفسير القرطبي للقراءة الثانية .
(٣) أسلوب المحاورة في القرآن د/ عبد الحليم حفني ص ١٤

ولكن استيفاءه يكون في العادة لمصلحة أحد الطرفين فحسب فمناقشة أحد الطرفين للآخر في اللغة معناها أن يستقصي محصيا ومستوعبا كل ماله على الآخر ويستشهد صاحب أساس البلاغة لهذا بقول عائشة رضي الله عنها (من نوقش الحساب عذب)[١] .

أي من أحصيت واستقصيت أعماله ليحاسب عليها حسابا عاديا دون أن يتداركه عفو الله وغفرانه فلابد أن يصيبه العذاب ولكن كثيرا من المثقفين يستعملونها مرادفة للمحاورة وهذا خطأ نشأ من شيوعها في التخاطب بين الناس[٢] .

خصائص الحوار على ضوء القرآن

١ — التنوع :

المستقرىء لآيات القرآن الكريم يجده قد نوع أساليب الحوار فلم يقتصر على جانب معين كأمور الدنيا أو أمور العقيدة بل نجد في القرآن الكريم أنواعاً متعددة للحوار تشمل كل جوانب الحياة ففي القرآن نجد حواراً حول الاصلاح نجد هذا على سبيل المثال في سورة هود من الآيات ٨٤ — ٩٣ .

ونجد حواراً بين الخير والشر[٣] .

ونجد حواراً في السياسة[٤] .

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم من نوقش الحساب يوم القيامة عذب] جـ٧ ص ٢٠٨ ط مصطفى الحلبي .
(٢) المرجع السابق ١٤ ،
(٣) الآيات ٢٧ — ٣٢ من سورة المائدة .
(٤) الآيات ٢٨ — ٣٥ سورة النمل .

ونجد حواراً فى طلب العلم[١] .

ونجد حواراً فى صراع النفس[٢] .

ونجد حواراً فى مقاومة الطغيان[٣] .

ونجد حواراً فى جناية الغرور[٤] .

ونجد حواراً فى حرية الرأى[٥] .

ونجد حواراً بين السادة والأتباع[٦] فى الآخرة .

ونجد حواراً بين كافر غنى ومؤمن فقير[٧] .

ونجد حواراً فى إثبات وجود الله لدى فرعون[٨] .

وتتعدد أنواع الحوار حتى تشمل حواراً عجيبا بين نبى وطائر[٩] .

ومعنى هذا أن المحاورة لم تأت فى القرآن عرضاً وإنما هى غرض وهدف أساس من أهداف القرآن الكريم تهدف إلى تحقيق جوانب الاصلاح والخير للأفراد والجماعات .

---

(١) الآيات ٦٥ — ٧٠ من سورة الكهف .
(٢) الآيات ١٠٠ — ١٠٧ الصافات .
(٣) الآيات ٦٥ — ٧٣ سورة طه .
(٤) الآيات ٧٦ — ٨٣ القصص ،
(٥) الآيات ٣٠ — ٣٤ سورة البقرة .
(٦) الآيات ٣١ — ٣٣ سبأ .
(٧) الآيات من سورة الكهف ٣٧ — ٣٨ — ٣٩ .
(٨) الشعراء الآيات ٢٢ — ٣٠ وطه ٥٠ .
(٩) النمل ٢٠ — ٢٨ .

٢ — الحوار فى القرآن يعتمد على العقل:

وهو مسلك واضح فى محاورات القرآن الكريم وطبيعة هذا الاعتماد أن الحوار يتجه إلى إبراز الحجة والدليل العقلى ونرى هذا واضحاً فى قضية الإيمان بالله فالعقل مدعو للنظر والبحث عن صدقها ثم الاستجابة لها بل إن الذى يؤمن بالله فى الإسلام تبعاً وتقليداً للآخرين ودون أن يستخدم فكره ودون أن يستجيب لحكمه العقلى فإن إيمانه مردود ولن يقبل منه ومن هنا كان التفكير فى الإسلام من الفرائض المحتمة والقرآن لا يذكر العقل إلا معظماً له ومنبها إلى وجوب العمل به والرجوع إليه ولا تأتى الإشارة إلى العقل فى القرآن الكريم عارضة ولا مقتضية فى سياق الآية بل تأتى فى كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة وتتكرر فى كل معرض من معارض الأمر والنهى التى يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله أو يلام فيها المحاور على اهماله عقله وقبوله الحجر عليه والقرآن الكريم لا يذكر العقل عرضاً مقتضبا بل يذكره مقصودا مفصلا على نحو لا نظير له فى كتب الأديان الأخرى فمن ذلك قوله تعالى فى سورة البقرة :

(إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون[٢] .

وفى سورة الأنبياء[٣] «أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون»

---

(١) الآية ١٦٤
(٢) البقرة آيه ١٦٤.
(٣) الأنبياء ٦٧

وفى القرآن الكريم يتكرر الخطاب إلى العقل لأن العقل معدن الإدراك والفهم فى ذهن الإنسان ، والقرآن الكريم إنما يلجأ إلى التذكير بالعقل لأن العقل خير مرجع للهداية فى ضمير الإنسان(١) .

وهو فى كثير من آياته يستحث العقل للنظر فى قضية الإيمان بالله لأن العقل فى شرعة الإسلام يبتغى الحقيقة حيث كانت ولا يحجم عن المعرفة حيث أصابها ولا يقيم فوقه أو بين يديه باباً مغلقاً دون قبس من النور يريه مالم يكن يراه أو يزيده بصيرة بما رآه(٢) .

إن المحاورة فى القرآن تعتمد على المنطق العقلى ونجد هذا بارزاً فى حوارا وجه الله به نبيه ليحاور المشركين حتى أنه يفترض لهم أن هناك آلهة أخرى مع الله ثم يحاورهم كيف تكون النتيجة : [قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا(٣)

كما يقول سبحانه [لو كان فيهما إلا الله لفسدتا](٤) .

واضح أن القرآن يعتمد فى محاورته على العقل المجرد - أثناء المحاورة - بعيداً عن التأثر بأى عامل أو مؤثر خارج المحاورة .

ويقدم القرآن الكريم صوراً ومشاهد تشهد لقضية البعث كما حدث مع سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما أراد أن يصل فى قضية إحياء الموتى من علم اليقين إلى عين اليقين فقال كما يحكى القرآن : « رب أرنى كيف تحيى الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى »(٥)

فواضح أن نبى الله إبراهيم يفترض فى حواره أنه مؤمن وجوابه

(١) عباس العقاد التفكير فريضة الإسلام ص ١٠ - ١١
(٢) المرجع السابق ص ١١
(٣) الإسراء آية ٤٢٠
(٤) الأنبياء آية ٢٣
(٥) البقرة آية ٢٦٠

فى قوله [بلى] هو تقرير للواقع مع أنه مؤمن حقيقة ولكن هذا لا يتعارض مع التجرد الذى افترضه وقت المحاوره بدليل قوله [ليطمئن قلبى] أن إبراهيم نبى والمؤمن لابد أن يكون مطمئنا بالإيمان لنبوته [ولكن ذلك لا يمنع من افتراض عدم الاطمئنان بل وعدم الإيمان أو النبوة أثناء المحاورة .

ولئن كان يبدو فى هذا شىء من غرابة وتساؤل فالجواب أنه منهج إبراهيم الذى يضرب مثالا لا يضاهى فى مقدرته الخارقة على المحاجة والمحاورة والافحام(١)

وفى محاورة أخرى لسيدنا إبراهيم عليه السلام يصل به التجرد فى محاورته مع عبدة الكواكب أن جاراهم فى حواره وافترض ربوبية الكواكب « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى »(٣) .

[وغرض التجرد نفى وجود أى مؤثر على المحاور غير العقل ولو كان خروجا مفترضا على أهم صفة من صفات الرسل ألا وهى العصمه وهذا نموذج على أن المحاورة فى القرآن طابعها الاعتماد على العقل ومتابعة هذا الاعتماد إلى أى مدى عقلى تحتاجه المحاورة ولو كان خروجا على أهم أسس القرآن نفسه ومبادئه وهو معنى كبير وعميق وذو دلالات كثيرة منها تمجيد الإسلام الواضح للعقل ومنها ثقة الإسلام فى رسوخ مبادئه وموافقتها لكل العقول(٣)

(١) أسلوب المحاورة د/ عبد الحليم حفنى .
(٢) سورة الأنعام ٧٦
(٣) أسلوب المحاورة ص ٣١

٣ — الموضوعية فى الحوار :

المعروف لدى علماء العقيدة أن الإيمان بأصول الدين لابد أن يكون وفق الدليل وفى ضوء إقامة البرهان أى أنه لابد أن تكون لدى الشخص قناعة علمية بأن هذه القضية صحيحة ليست فقط فى أصول الدين فى التوحيد والنبوة واليوم الآخر وإنما هى صحيحة فى كل معتقد نلتزم به .

كما أن الضجيج الذى يثار اليوم حول طريقة البحث الموضوعى العلمى والدعوة إلى هذا المنهج فى تحقيق المسائل واستكشاف الحقائق فقد سبق الإسلام فى دعوته إلى هذا المنهج وأكثر من ذلك فقد استخدم القرآن هذا المنهج فى مبانيه وآرائه وفى محاوراته الموضوعية: فى الحوار تبدأ بافتراض الشك فى القضية المطروحة للبحث وكما اصطلح عليه — ديكارت — واضع هذا المنهج فى العصر الحديث — بالشك المنهجى .

يعنى : أن نبدأ فى تحقيق القضية بوصفها مشكوكة تماما ونتناذل من البداية عن كل تصوراتنا وقناعتنا حولها وفيها ثم نتحاور .

إن الشك المنهجى هذا أمر دعا إليه القرآن وتمثله الآية القرآنية فى سورة (سبأ) هى تطبيق لهذا المبدأ .

يقول تعالى :

« وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين »[١].

(١) سورة سبأ ٢٤

الآية تطالب بتخلى كل من الفريقين اللذين تصديا للمحاورة حول موضوع ما عن التعصب وإعلانها الاستعداد للبحث عن الحقيقة فالموضوعية فى الحوار تجعل البرهان هو مقياس الحقيقة وفى ضوء الدليل والبرهان يجب أن نحدد قناعاتنا ونرفع الشك الذى بدأنا به . والدعوة إلى إقامة البرهان والمطالبة به ملأت صفحات القرآن الكريم وكان منطق [قل هاتوا برهانكم][١] هو المنطق الحاكم فى كل مادعا إليه القرآن تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين[٢] أم اتخذوا من دونه الهه قل هاتوا برهانكم[٣] .إله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين[٤] .

وإن أى تصور واعتقاد من غير برهان ومن غير علم لهو مرفوض فى منطق القرآن الكريم هـذا هو بالضبط ما يدعو إليه الحوار الموضوعى ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم[٥] ولا تقف ما ليس لك به علم[٦] .

وفى الحوار الموضوعى يجب أن نتجرد حين المحاورة من كل المسبقات عنها وننقطع لمراجعة عقولنا بعيداً عن الأهواء والميول والتجرد من الهوى الشخصى هو الثمرة التى يجنيها المتحاورون [إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً][٧] .

ومن أضل ممن اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم[٨] .

(١) البقرة ١١١ (٢) البقرة ١١١
(٣) سورة الأنبياء ٢٤ (٤) النمل ٦٤
(٥) سورة آل عمران ٦٦ (٦) الإسراء ٣٦
(٧) يونس ٣٦ (٨) الجاثية ٢٣

« فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله »[١] وأكثر من ذلك فقد تنبه القرآن إلى تأثير العقل الجمعي على الإنسان ومن هنا فقد حذر من الانسياق ضمن هذا التأثير قال تعالى: « قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة »[٢].

وفي الحوار الموضوعي يجب أن يمتلك الإنسان القدرة على التنازل أمام البرهان والحجة ومهما دعاه ذلك إلى التخلي عن رأيه الأول فإن عليه الانصياع للحقيقة المبرهن عليها ولا يتورط في عناد أعمى وتعصب عاطفي وهذا أيضاً مما التزمه القرآن الكريم في محاوراته ولم يجد حرجاً في قبول الحقيقة مهما كانت ما دام البرهان قائماً عليها. يقول القرآن الكريم « قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين »[٣].

الخطاب في الآية للكفار هؤلاء الذين يخالفونك يا محمد قل لهم: أتوا بكتاب من عند الله هو أهدى من القرآن والتوراة حتى أتبعه ومعنى ذلك أن الرسول ﷺ يجب أن يكون على مستوى التنازل لهم إن جاءوا بالحقيقة إن التعصب من منظور القرآن حالة مرضية تعني قصوراً في العلم وحجاباً يحجب الحق إن تجرد المتحاور وحياده التام وشعاره يجب أن يكون: معرفة الرجال بالحق لا الحق بالرجال، وما قلب حال المسلمين وجمد حركة الفكر الديني والعلمي إلا يوم أن أصبح الحوار يقوم على قيم سلبية من الهوى والمصلحة الشخصية ونصرة المذهب والرأي وحب الغلبة من غير إعتماد على علم أو معرفة أو تقوى ويوم أن أصبح المعيار في

(١) (ص) ٢٦ (٢) سبأ ٤٦
(٣) القصص ٤٩

القبول والرد هو صاحب القول في ذاته وإنه مهما نسبت الكلام إلى قائل حسن فيه إعتقادهم قبوله وإن كان باطلا، وإن أسندته إلى من ساء فيه إعتقادهم ردوه وإن كان حقا فأبدا يعرفون الحق بالرجال ولا يعرفون الرجال بالحق وهو غاية الضلال[١].

لابد للمتحاورين أن يلتزموا بالطرق الإقناعية ومن التزام هذه الطرق الصحيحة ما يلي:

١ — تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للأمور المدعاة.

٢ — إثبات صحة النقل للأمور المنقولة المروية وهذان الأمران هما المقصودان بالقاعدة المعروفة عند علماء أدب البحث والمناظرة إذ يقولون « إن كنت ناقلا فالصحة أو مدعيا فالدليل ».

وقد أشار القرآن الكريم إلى محتوى هذه الطرق في آيات كثيرة منها قوله تعالى أمن يبدأ الخلق ثم يعيده؟ ومن يرزقكم من السماء والأرض؟ أإله مع الله؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين[٢] وهذه الآية تطالب المشركين بتقديم البرهان عقليا أم نقليا وتشير سورة الأنبياء إلى مطالبتهم بتقديم البرهان النقلي بقول الله: أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون[٣].

ومن آداب الحوار في القرآن ألا يكون في الدعوى أو في الدليل الذي يقدمه المحاور تعارض أي لا يكون بعض كلامه ينقض بعضه

(١) الإمام الغزالي المنقذ من الضلال ص ١١٤ مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٥٥ م
(٢) النمل ٦٤ (٣) سورة الأنبياء ٢٤

الآخر فإذا كان كذلك كان كلامه ساقطا بداهة ومن الأدلة على ذلك ما حكاه القرآن الكريم عن الكافرين حين كانوا يرون فى الآيات الباهرات التى كانت تنزل على رسول الله ﷺ بأنها سحر مستمر قال الله تعالى فى أول سورة القمر (اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر[١] .

ففى قولهم هذا تعارض وتهافت ظاهر لا يستحق رداً وذلك لأن من شأن السحر كما يعلمون أن لا يكون مستمرا ومن شأن الأمور المستمرة ألا تكون سحرا أما أن يكون الشىء الواحد سحرا ومستمراً معاً فذلك جمع عجيب بين أمرين متضادين لا يجتمعان .

ونظير ذلك قول فرعون عن موسى عليه السلام إذ جاءه بسلطان مبين من الحجج الدامغة والآيات الباهرة . (ساحر أو مجنون . (قال تعالى فى سورة الذاريات (وفى موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون[٢]) .

وهذان أمران متضادان ومن غير المقبول منطقيا أن يكون الشخص الواحد ذو الصفات الواحدة مترددا بين كونه ساحرا وكونه مجنونا وذلك لأن من شأن الساحر أن يكون كثير الذكاء والدهاء وهذا أمر يتنافى مع الجنون تنافيا كليا فكيف صح فى فكر فرعون هذا الترديد أن فى كلامه هذا لتهافتاً ظاهرا يسقطه من الاعتبار لدى المحاورة فهو لا يستحق عليه جوابا[٣] .

---

(١) سورة القمر ١ — ٢
(٢) سورة الذاريات آية ٣٨ — ٣٩
(١) مناهج الجدل فى القرآن د/ زاهر بن عواض ص ٥٠١

إنصاف الخصم

لا ينبغى للمحاور أن يكون هدفه النقض والهدم لذا نلاحظ أن المحاورة فى القرآن من سماتها المحافظة على حق الخصم وانصافه من كل وجه فعلى المتحاورين التقيد بالقول المهذب البعيد عن كل طعن أو تجريح أو احتقار لوجهة النظر التى يدعيها أو يدافع عنها من يحاوره وقد أرشدنا الإسلام إلى التقيد بهذه القاعدة فى نصوص كثيرة منها قوله تعالى: وجادلهم بالتى هى أحسن »[١] .

وقوله : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن »[٢] .

أى فإن سلك مجادلكم مسالك غير مهذبه القول فتقيدوا أنتم بكل قول مهذب واسلكوا كل طريقة هى أحسن وأفضل وعبارة (بالتى هى أحسن) تشمل بعمومها الأساليب الفكرية والقولية وبهذا يتبين لنا أن المطلوب من المسلم أن يكون فى محاورته على حالة أرقى وأحسن من الحالة التى يكون عليها من يحاوره أدبا وتهذيبا .

وكل إنسان حتى ولو كان كافرا لا يعدم نقطة خير فى قلبه يبدأ بها المسلم فيدخل إليها أو يدخل منها ثم ينميها ويسير بها إلى هدفه الذى يريد وفى القرآن ما يشير إلى ذلك « وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون »[٣] .

ونستطيع أن نبرز أهم النواحى التى راعى منهج القرآن أن تكون من حق الخصم مايأتى .

---

(١) النحل ١٢٥ (٢) العنكبوت ٤٦
(٣) العنكبوت ٤٦

التجرد من المؤثرات والاحتكام إلى حكم يقبله المتحاورون ونستطيع أن نضرب مثالا للتجرد من تأثير المؤثرات ان تكون هناك محاورة بين مؤمن وكافر ويحاول المؤمن أن يثبت وجود الله فلو قال المؤمن للكافر أنا مؤمن بوجود الله ثم قال أى شيء بعد ذلك فليست هذه محاورة بل هى الزام للخصم والأمر كذلك لو قال له الله قال كذا أو الرسول قال كذا لأنه لا يؤمن بالله ولا بالرسول وإنما المحاورة المنطقية السليمة أن يتجرد كل من الخصمين أثناء المحاورة من عقيدته افتراضا ومن انتمائه إلى أى شيء يؤثر عليه فيما يتعلق بموضوع المحاورة(١) .

ومن الممكن أن نستدل على ذلك بموقف سيدنا إبراهيم مع عبدة الكواكب حينما كان يحاورهم فى اثبات وجود الله حيث افترض ألوهية الكواكب مجاراة لخصومه يقول تعالى : « وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رءا كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين(٢) .

وأما الاحتكام إلى حكم يرتضيه الطرفان فذلك أمر طبعى أن يختصم الطرفان إلى قاض يرتضيانه ليقضى بينهما وهذا أمر يحدث فيما يتعلق بالخصومات الدنيوية أما فيما يتعلق بأمور الدين فلا يتصور فيها قاض مرتضى من الطرفين لأن القاضى إما مؤمن مسلم وإما كافر وليس بينهما وسط وفى كلا الحالين فهو منحاز لأحد الطرفين ولذلك لم يكن هناك حكم يحكم فى خصومات الدين الا العقل لأنه قاسم مشترك ومتفق عليه وعلى حقائقه بين الناس جميعا ولهذا نجد القرآن يركز عليه وجعله الحكم

(١) أسلوب المحاورة د/ عبد الحليم حفنى ص ٣٢
(٢) سوره الانعام الآيات ٧٥ — ٧٦

والقاضى مهما يكن الطرف الذى يمثله القرآن ولو كان ذات الله سبحانه لأن الأمر حينئذ لا ينظر فيه إلى أشخاص المحاورة وإنما إلى عدالة الموقف فما دام القرآن يرتضى إقامة محاورة فهى محاورة فى قمة المثالية بصرف النظر عن شخص المحاور كما أن القاضى يجب أن يحقق العدالة مهما تكن أشخاص المتخاصمين(١) .

« قل إنما اعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا . . »(٢) .

أى أدعوكم إلى واحدة قيل خصلة واحدة أو كلمة واحدة هى لا إله إلا الله ، أو هى القرآن باعتبار الكلمة جنساً ، أن تقوموا . . أى للحق كونوا قوامين بالقسط »(٣) .

لله مثنى وفرادى .. أى مجتمعين ومنفردين .

ثم تتفكروا دعوة إلى التفكر .. ان وقفنا عليها — مطاق التفكر فى الأنفس والآفاق . . مما يفضى إلى التوحيد وهو منهج قويم فى الحوار أن تترك خصمك يصل إلى الحق الذى تريد مما يظن معه أنه هو الذى اكتشفه فيكون أكثر اقبالا وأكثر استمساكا(٤) .

(١) أسلوب المحاورة د/ عبد الحليم حفنى
(٢) سبأ ٤٦
(٣) النساء ١٣٥
(٤) أدب الحوار الدكتور على جريشة ص ٨٦

عدم ايذاء الخصم نتيجة قوله أو معتقده

يقول علماء القانون المتهم برىء مالم تثبت إدانته وفى محاورات القرآن الكريم نجد المحاور له حق الحماية فطرفا المحاورة قد اتفقا افتراضا على تجردهما وعدم الإنتهاء خلال المحاورة ومن هنا فلا يحق لأحد أن يصف أحدهما بأنه على خطأ أو على صواب فإساءة أحدهما إلى الآخر قبل انتهاء المحاورة ظلم ومن هنا نجد أن الخصم فى محاورات العقيدة مصون وله حق الحماية ومثال ذلك هذا الذى يحاور فى الله مدعيا إنكاره أو ينكر أن يكون الله قادراً على البعث والاحياء. وكيف أن الله يوجه رسوله إلى أن يحاوره وأمثاله فى غير إيذاء بل فيما يشبه الود والتقريب والعتاب يقول تعالى: « وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهى رميم ، قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ، الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون »[1].

ومن ألوان أدب الحوار فى القرآن وفيه الموضوعية حيث يرد المخطىء إلى الصواب ويرد المبطل إلى الحق وهو لون من الوان تأليف القلوب نجد أن القرآن ينظر إلى الخصم نظرة مساواة فالحوار يتطلب افتراض تساوى أطرافه ونلمس فى محاورات القرآن اشعار الخصم أثناء المحاورة بمساواته مع محاوره فيما يتعلق بهذا الحوار وهذا أقصى ما يمكن من عدالة تمنع للخصوم حين يشعر الخصم أنه مساو لخصمه وأن خصمه هـــو الذى يشعره بذلك ونلمس ذلك واضحا فى قول الله تعالى :

(١) سبأ ٢٤ — ٢٦

« قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم »[1].

واضح أن القرآن يعلن للخصوم حق المساواة فى الجدال على احتمال أن يكون كلا الطرفين من الممكن أن يكون على حق أو أن يكون على باطل (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) ثم زاد عن هذه المساواة أن افترض صدق الخصوم وصحة رأيهم ورأى الخصوم أن عملهم وموقفهم من الدين صحيح أما عمل المؤمنين فباطل وإجرام فالقرآن يسلم لهم جدلا أو افتراضاً أن المشركين على حق وأن المؤمنين مجرمون ويعلن إليهم هذا على لسان الرسول (قل لا تسألون عما أجرمنا ولا نسأل عما تعملون)[2].

وفى القرآن دعوة للمساواة بين المتحاورين (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة ســـواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)[3].

ـ تحديد الغاية والهدف من المحاورة والانتهاء عن الحوار عند اللجاجة.

يهتم حوار القرآن الكريم بإبراز الهدف الذى تدور حوله المحاورة مع التركيز على أن يكون الهدف واضحاً ومحدداً ومقبولا من النفوس بعد اجتيازه مرحلة القبول العقلى حيث إن هذه النقطة التى نتحدث عنها توقيتها بعد انتهاء المحاورة وإظهار الحق إما مع تسليم الخصم به وإما مع

(١) سورة يس ٧٨ ، ٧٩ .
(٢) سبأ ٢٤ — ٢٦.
(٣) سورة آل عمران آية ٦٤ .

لإفحامه وعجزه عن متابعة المحاورة وفى حالة التسليم يغلب أن يعترف الخصم بالحق وأن يعتنقه وإما فى حالة الإفحام والعجز عن متابعة المحاورة فالغالب أن يبقى الخصم على خصومته وعند اللجاجة يجب الانتهاء عن الحوار ومن الممكن أن نأخذ مثلا لذلك حوار إبراهيم مع النمروذ. قال تعالى:

« ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين »[1].

فقد حاج إبراهيم فى ربه فقال له إبراهيم صفة من صفات الله لا يشترك معه فيها أحد (ربى الذى يحيى ويميت).

فإذا بالخصم يصل إلى اللجاجة بل الوقاحة فيقول أنا أحيى وأميت.. وراح يفسرها تفسيراً هزيلا حين حكم على اثنين بالإعدام ثم عفا عن واحد ونفذ الحكم فى الثانى.

فحاجه إبراهيم بآية كونية لا يستطيعها خروجا من هذا المراء قال إبراهيم: إن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فأفحم وبهت.

ومن ذلك قوله تعالى: « وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره إنكم إذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا »[2].

وعندما يصل الأمر إلى حد السخرية والاستهزاء، فإن الأمر لا جدوى منه فقد وصل إلى حد اللجاجة ومن ثم فإنهاء الحوار بالإفحام - أو بالقيام كما أشارت إلى ذلك الآيات الكريمة هو الأولى من البقاء.

(١) البقرة: ٢٥٨. (٢) النساء: ١٤٠.

من دواعى وجود الحوار فى القرآن

أولا: من دواعى الحوار نقد القديم.

(أ) نقد العقيدة السائدة وبيان انحرافها.

نزل القرآن فى بيئة تقدس الأصنام قال زيد بن عمرو فى بيان انحراف عقيدة قومه وفى ترديهم فى ضلالات الشرك والوثنية.

أرباً واحداً أم ألف رب ودين إذا انقسمت الأمور

عزلت اللات والعزى جميعاً — كذلك يفعل الجلد الصبور[1].

وما دام القرآن نزل على قلب محمد ﷺ ليؤسس عقيدة أساسها التوحيد المطلق كان من الضرورى ألا تقام العقائد الصحيحة إلا بعد تنظيف الأرضية المعدة للبناء. ومن هنا جاءت أهمية تنمية العقول وإيقاظها من السبات ودفعها للفحص والملاحظة والتحليل علها تدرك — تلقائياً — ما يوجد فى معتقدها من اختلال لتنبذه وتطرحه وراءها ظهرياً. فى هذا المجال حاور القرآن حيث قال: « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ».

يقول الشيخ محمد عزة دروزة: والآيات هى الأولى من نوعها فى احتوائها تعريضاً صريحاً بمعبودات العرب وعقائدهم ونقاشاً وحجاجا وتسفيهاً وإلخاما حول هذه العقائد[2].

وفى هذا الموضوع أيضاً قال القرآن: « قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا »[3].

(١) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٢٠٨.
(٢) محمد عزة دروزة التفسير الحديث جـ ٢ ص ٢٢١.
(٣) الإسراء: ٤٢.

قال الدكتور محمد البهى : لو كانت هناك آلهة شركاء لله لاختلفوا فيما بينهم حتما ولأدى اختلافهم بالتالى إلى الاستغاثة بصاحب القوة والعرش من بينهم والاستعانة بالغير تنطوى على الحاجة إليه والحاجة دليل على عدم تمام القدرة لمن له حاجة ، والإله لابد أن يكون تام القدرة وكاملا فى صفاته فادعاء آلهة مع الله ادعاء واضح الكذب والتهافت[١] ، وقد احتوت الآية كما قال دروزة حجة جدلية فلو كان لله شركاء فى كونه لما قبلوا أن يكونوا فى مركز أدنى ولسعوا ليكونوا شركاء منافسين له فى كل شىء[٢] .

وفى ذات الموضوع وفى نطاق تأكيد استحالة التعدد والقضاء على الشرك تحقيقاً لإثبات الوحدانية قال الله تعالى : « وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض »[٣] .

إن الآية أكدت بطريقة الحوار استحالة تعدد الآلهة إذ أنها بينت وفق التسليم الجدلى أنه لو تعددت الآلهة عن طريق افتراض الولد أو الند لاقتضى هذا أن يكون لكل إله مجاله المحدد والمعين من المخلوقات لأن اتصافها جميعاً بالألوهية يستلزم — حتما — مماثلتها فى القدرة على الخلق والإيجاد و[إذا اقتسمت الآلهة مجالات المخلوقات بينها فإن بعضها سيعلو ويطغى على البعض الآخر[٤] .

وهذه الوضعية تؤدى — حتما — إلى التخاصم والتقاتل وبالتالى إلى انتصارات وانهزامات تنتهى فى آخر المطاف إلى تغلب واحد وظهوره على الكل وتفرده واستحقاقه بالعبودية .

(١) د/ محمد البهى التفسير الموضوعى سورة الإسراء ٤٠ .
(٢) محمد عزة دروزة التفسير الحديث جـ ٤ ص ٢٣٦ .
(٣) المؤمنون ٩١ .
(٤) د/ محمد البهى سورة المؤمنون ص ٤٨ .

قال ابن القيم فى هذا المقام : [فلا بد من أحد أمور ثلاثة : إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه وأما أن يعلو بعضهم على بعض وإما أن يكونوا كلهم تحت قهر إله واحد يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه ويمتنع عن حكمهم ولا يمتنعون عن حكمه فيكون وحده هو إله الحق.

وانتظام أمر العالم العلوى والسفلى وارتباط بعضه ببعض وجريانه على نظام محكم لا يختلف ولا يفسد من أول دليل على أن مدبره واحد[١].

نخلص من ذلك إلى أن إنحراف عقيدة التوحيد وما آلت اليه من اضطراب فى التصور وما نشأ عن ذلك من ممارسات تعبدية مختلفة من الدواعى الأساسية التى استوجبت وجود الحوار فى القرآن ذلك أن إزالة ماتراكم على النفوس ونسف ماعلق بالقلوب من أتربة الوثنية لا يتم إلا بإيقاظ العقول ودفعها للعمل حتى ينشأ بينها وبين ماعليه القوم من فساد توتر وصدام — وهذا يعنى بالضرورة إعادة تحليل الأمور الواقعة ووضعها من جديد على الموازين وماذاك إلا الحوار والجدل .

(ب) نقد بعض الظواهر الاجتماعية :

إن التحلل الإجتماعى الذى كان نتيجة حتمية لما كان عليه القوم من انحراف عقائدى فى المجتمع المكى وغيره مما هو سائد فى العالم — جدير بالاهتمام وحقيق بتشريح مافيه من عاهات .

جاء فى كلمة جعفر بن أبى طالب [كنا قوما ... نقطع الأرحام ونسىء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف][٢] .

(١) ابن القيم التفسير القيم ص ٣٧١
(٢) ابن هشام السيرة النبوية جـ ١ ص ٢٩٠

وغنى عن البيان أن مجتمعا كهذا تقطعت فيه ماتقتضيه الأرحام من وشائج القربى واختلت فيه مايتطلبه من حقوق الجوار من معاملات وعلاقات وانعدمت فيه الفضائل حيث اغتر قوية بما لديه من عشيرة مدافعة وبما فى حوزته من أموال مساندة لمجتمع مهدد بالانهيار لفقدانه مقومات الإستقرار والأمن.

ظاهرة وأد البنات :

من مظاهر الانحلال الاجتماعى تفشى ظاهرة وأد البنات [حيث كانت الواحدة منهن إذا بلغت السادسة من عمرها يهىء لها والدها حفرة يدفعها فيها على حين غفلة منها ومن أمها ويهيل عليهـــا التراب وكانت الأمهات ربما وأدن بناتهن حين الوضع إذ كانت الحامل منهن إذ اشعرت بدنو الولادة تعمد إلى حفر حفرة تجلس على رأسها لحظة الوضع فإذا كان المولود ذكرا أبقته وإذا كانت أنثى قذفتها فى الهوة وأهالت عليها التراب][1].

إن عملية البتر هذه لو استمرت ممارستها واستفحل أمرها لكانت مدعاة لاستئصال الجنس البشرى وهى نفس العملية التى قد سمح بايجادها قانون فرعون الاجرامى بشكل معاكس حيث كان يقتل الابناء ويستحيى النساء ونظراً لخطورة هـذا العمل الجائر نرى القرآن يتوجه إلى العقول محاورا.

والضمائر طالبا منها الإجابة عن سؤال بسيط ولكنه بليغ محجاج (وإذا الموءودة سئلت بأى ذنب قتلت)[2].

(١) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور التحرير والتنوير ص١٨٣ المقدمات.
(٢) التكوير ٨ — ٩

لاشك أن توجيه السؤال للمجنى عليها دون الجانى الذى هو الأب فيه أشعار بأن جوابها شهادة على إقامة الحجة عليه، وفى سؤالها عن الذنب الذى يمكن أن يكون قد اقترفته فيه دلالة على أن الفاعل لم يكن لديه مايدفع به عنه ارتكابه الجريمة من مؤيدات تبريرية.

قال الشيخ محمد الطاهر : لأن السؤال عن تعيين الذنب الموجب للقتل مع انتفاء الذنب فيه إشعار بأن لامعذرة له فى فعله إذ لاشبهة له فيما صنع بها فإن الشبهة قد تقتضى التخفيف فى العقوبة[1].

ومعنى هذا أن عملية القتل كانت تحدث دون أن يكون للمقترفين أسباب موضوعية تسوغ لهم ارتكابهم تلك الفعال لتكون على الأقل دواعى تخفيف.

وعلى هذا فإذا ماتأملنا هذا السؤال وجدناه يحمل فى حد ذاته اقامة الحجة الظاهرة على فساد تلك الممارسة وهكذا نجد أن انحراف بعض الظواهر الاجتماعية كان قاضيا بوجود الحوار فى القرآن ليتولى تشريح تلك العاهات التى لاتتلاءم ومايريده القرآن من إقامـــة مجتمع فاضل سليم.

ثانيا — من دواعى الحوار بناء المفاهيم الصحيحة

بناء مفهوم الألوهيه

كانت الانحراف شائعة حول مفهوم الألوهية لدى كل من اليهود والنصارى ومشركى العرب ومنكرى الألوهية لذا كان لابد من التركيز على بناء العقيدة الصحيحة والتى تتمثل فى وجود خالق موصوف بكل

(١) محمد الطاهر بن عاشور المقدمات ص ١٨٣

صفات الكمال ، هذا ما اقتضى وجود الحوار والحجج لإثبات تلك المفاهيم وترسيخها في الأذهان .

يقول الأستاذ العقاد : أما القرآن فقد كان يخاطب أقواما ينكرون وأقواما يشركون وأقواما يدينون بالتوراة والإنجيل ويختلفون في مذاهب الربوبية .

وكانت دعوته للناس كافة من أبناء العصر الذي نزل فيه وأبناء سائر العصور ومن أمة وسائر الأمم فلزم تمحيص القول في الربوبية عند كل خطاب .. وقامت دعوته كلها على تحكيم العقل)[1].

بناء على ذلك ندرك أن الحوار القرآني جاء ليخاطب العقول ويحرك هممها لتعمل جهدها حتى تتخلص البشرية من تلك الأفكار الخاطئة بإثبات ما يناهضها من أن الله واجب الوجود وأنه رب الكون كله وأنه المهيمن على العالم بأسره بتفرده بخلقه وتدبيره :

قال الله تعالى : إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون)[2].

فالآية قد اشتملت على آيات بينات لمن تدبر وتفكر قال الفخر : كان عمر بن الحسام يقرأ كتاب المجسطي على عمر الأبهري فقال لها بعض

(١) كتاب الله ص ٢٣٣ العقاد .
(٢) البقرة ١٦٤

الفقهاء يوما ما الذي تقرءونه فقال الأبهري : أفسر قوله تعالى [أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها[1] .

فأنا أفسر كيفية بنائها وعلق ابن عاشور على هذا بقوله : ولقد صدق الأبهري فيما قال فإن كل من كان أكثر توغلا في بحار المخلوقات كان أكثر علما بجلال الله وعظمته[2] .

وقد قال بعض العلماء : أن لله كتابين كتابا مخلوقا هو الكون وكتابا منزلا هو القرآن ويرشدنا هذا إلى طرق العلم بذاك بما أوتيناه من العقل[3]

إن تلك الآيات الكونية التي تعرضت لذكرها آية سورة البقرة التي أشرنا إليها وغيرها من الظواهر الآفاقية التي تضمنها القرآن في محاوراته وساقها في معرض التدليل على وجوده تعالى وبيان قدرته والتذكير بنعمه على خلقه هي التي سماها موريس بوكاي بالظاهرة العلمية وهي التي دفعته إلى أن يقول إنه من المستحيل أن يكتب إنسان في القرن السابع الميلادي كل هذه الحقائق المجهولة آنذاك[4]

وجملة القول أن هذا الحوار الاستدلالي هو موضوع اقتضته ضرورة بناء المفهوم الصحيح للألوهية .

(١) ابن عاشور التحرير والتنوير حـ٢ ص ٧٤
(٢) السابق ص ٧٤ حـ٢
(٣) الشيخ أحمد مصطفى المراغي حـ٢ ص ٣٧ التفسير .
(٤) العلم يدعو إلى الإيمان موريس كريسون .

ثالثا : من دواعى الحوار

الرد على الشبهة التى تثار حول العقيدة

ومن النموذج لذلك قولهم :

إن البشر لا يكون رسولا .

من الشبه التى كانت تواجه بها المادية عقيدة الإيمان اعتقادهم بعدم امكانية الجمع بين البشرية والنبوة فى الذات الواحدة أى عـــدم تصديق ما ادعاه محمد من نبوة بسبب كونه بشرا .

وقد وضح القرآن أن هذه عقيدة قديمة وأنها كانت تثار فى وجه دعاة الإيمان من الانبياء السابقين فقد قيلت لنوح عليه السلام فقال الملا الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم)[١]

فواضح من محاورى نوح لكونهم من السادة سيطرت عليهم فى المحاورة نزعة التعالى والتركيز على معنى التميز والمفاضلة بين الناس فأول مابدءوا به هو قولهم (ماهذا إلا بشر مثلكم)

وهذه الشبهـــة قيلت لصالح عليه : ما أنت إلا بشر مثلنا[٢] وقيلت لموسى عليه السلام وأخيه هارون . فقالوا : أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون[٣] .

وقد قيلت لمحمد ﷺ وستقال ما دام هناك كفر

(١) المؤمنون ٢٤ (٢) الشعراء ١٥٤
(٣) المؤمنون ٤٧

روى أنه كان يقال له : لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس ويرى معك[١]

وما منع الناس أن يؤمنوا إذا جاءهم الهدى إلا أن قالوا : أبعث الله بشرا رسولا[٢]

أن تفكير القوم مرتكز على أنه ما لم تكن للشخص ميزة تميزه عن غيره كتميز السادة عن سائر القوم فلا ينبغى له أن يسمو على الناس فإذا كان القوم لا يسلمون لسيدهم بالسيادة الا لصفة معينة فكذلك وهم سادة لا يسلمون لمدعى النبوة بأن يرتفع عنهم بالنبوة الا لصفة خاصة كأن يعطى صفات الملائكة .

وقالوا : (لولا أنزل عليه ملك)[٣]

وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا)[٤] .

إن القرآن الكريم فى حواره حريص كل الحرص على بيان هـــذه الشبهة فكررها فى عدة مواطن من مقاماته وذكر قائليها ليبين أن لغة المادية على الرغم من تباعد الأزمنة واختلاف الأمكنة واحدة .

يقول الدكتور محمد البهى : ادعاء المكيين من الماديين المشركين بأن رسالة الله لا يأتى بها انسان إنما يكلف بها ملك من الملائكة .. وهو ادعاء كان شائعا بين المعارضين للرسل السابقـــين (وقال الذين لا يرجون لقاءنا : لولا أنزل علينا الملائكة)[٥] .

(١) سيرة ابن هشام حـ٢ صـ٣١
(٢) الاسراء ٩٤ (٣) الأنعام ٨
(٤) الفرقان ٧ (٥) الفرقان ٢١

والذين لا يرجون لقاءنا هم الماديون الذين ينكرون الآخرة فى عهد كل رسول[١] .

وهذه الشبهة على سذاجتها خطيره لأنها تمس العقيدة فى الصميم وليس من الحكمة اغفالها بل الرد عليها أكيد لما فى ذلك من تثبيت لقلب الرسول أولا ومن تقويه لعزائم المؤمنين ثانيا ومن خذلان للباطل واظهار للحق حتى يعلو .

إبطال هذه الشبهة

حدد القرآن الشبهة ورد عليها فيما يلى :

لا يلزم من كونه بشرا منع كونه رسولا إذ أن المثلية فى البشرية لا تقتضى لزوماً المثلية فى القيمة الاخلاقية لو وقع التسليم جدلا بأن يرسل ملك للزم عليه أن يكون لا بسا للصورة الآدمية لتعذر الاتصال بالبشر فى صورته الملائكية وتعذر مخاطبتهم وافهامهم الدعوة بحكم اختلاف طبائع الملائكة عن طبائع البشر .

ولو ظهر فى الصورة الآدمية للزم عليه وقوعهم فى نفس الاشكال ولقالوا . إنما هو بشر وليس ملكا .

وقد رد القرآن على هذه الشبهة فقال :

« ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون »[٢]

وقد أكد فعالية وجدوى بعث الرسل من البشر دحضا للفكرة العارضة

« قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا »[٣] .

(١) د / محمد البهى تفسير سورة الأنعام ٢٢
(٢) الانعام ٩ (٣) الأسراء ٩٥

أى لو وجد فى الأرض ملائكة يمشون كما يمشى البشر ويقيمون فيها كما يقيمون لنزلنا عليهم رسلا من الملائكة ولكن لما كانت طبيعة الملك لا تصلح للاجتماع ولا تصلح لأن يتخاطب مع البشر ويتفاهم معهم لزم عدم بعث ملائكة للقيام بمهمة النبوة ومن هنا اعتبر القرآن بعث الرسل من البشر من النعم التى أنعم بهـا على عباده « لقد جاءكم رسول من أنفسكم »[١] إن رد القرآن على هذه الشبهة أمر ضرورى [لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل][٢] .

نماذج من طرق الاستدلال القرآنى فى الرد على الخصوم

وسأذكر ذلك على سبيل الإيضاح والبيان لا على سبيل الحصر ، سلك القرآن الكريم فى حواره فى الرد على الخصوم ما يلى :

١ — التسليم :

وهو أن يفرض المحال إما منفياً أومشروطاً بحرف الامتناع لكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه ثم يسلم وقوع ذلك تسليماً جدلياً ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه كقوله تعالى : « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون »[٣] .

والمعنى ليس مع الله من إله ولو سلم أن معه سبحانه إلهاً للزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله من الاثنين بما خلق وعلو أحدهما على الآخر فلا يتم فى العالم أمر ولا ينفذ فيه حكم ولا تستقر أحواله والواقع خلاف ذلك

(١) التوبة ١٢٨ (٢) النساء ١٦٥
(٣) المؤمنون ٩١

ففرض إلهين أو أكثر محال لما يلزم منه من المحال[1] ، وهذا النوع من الاستدلال قريب الشبه من قياس الخلف إلا أنه ينفرد عنه بالتسليم الجدلى الوارد فى الخيال لا فى الواقع .

٢ — الانتقال فى الاستدلال :

وهو أن ينتقل المستدل من دليل إلى دليل ومن مثال إلى مثال لعدم فهم الخصم وجه الدلالة من الدليل أو المثال أو عند فهمه وجه الدلالة ولكنه يقصد المغالطة فيؤتى بدليل أو مثال آخر لا يجد الخصم معه مفراً دون الانقطاع أو التسليم ومن أمثلة هذا ماحكاه الله فى محاورة إبراهيم عليه السلام للنمروذ حيث قال (ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لايهدى القوم الظالمين »[2] .

يذكر ابن كثير أن النمروذ طلب من إبراهيم عليه السلام دليلا على وجود الرب الذى يدعو إليه[3] .

فيكون موضوع المحاورة : دعوى إبراهيم عليه السلام أن الله هو الرب وقد استدل على ذلك بأنه يحيى ويميت — أى يهب الحياة لمن يشاء من الأجسام فتنمو أو تنمو وتتحرك ثم ينزع منها الحياة فتموت .

وقد عارضه النمروذ بدليل مماثل — على زعمه — فقال : (أنا أحيى

(١) بدائع القرآن لابن أبى الأصبع المصرى ص٢٩٥ مطبعة الرسالة سنة ١٩٥٧ م .

(٢) البقرة ٢٥٨ (٣) تفسير ابن كثير ج١ ص ٣١٣

وأميت) لأنى أعفو عمن استحق القتل فأكون قد أحييته : أى وهبته حياة وأعدم من أشاء من الناس فأكون قد أمته أى سلمت منه الحياة ولم يشأ إبراهيم أن يدخل فى إبطال دليل خصمه لأنه يعرف أن هذه المعارضة فاسدة لأن حقيقة الإحياء والإماتة التى فسره النمروذ غير التى يقصدها إبراهيم عليه السلام فانتقل لإلزامه وإفحامه وقطع لحاجته إذ أن حال النمروذ لا يخلو إما أن يكون لم يفهم حقيقة الإحياء والإماتة أوفهم ذلك ولكنه قصد المصادمة والمباهتة وكلاهما يوجب العدول إلى دليل يفضح معارضه ويقطع حجاجه ومتى كان الخصم بهذه المنزلة جاز لخصمه الانتقال إلى دليل آخر أقرب إلى الفهم وأفلح للحجة[1] .

٣ — المناقضة :

وهى تعليق الأمر على مستحيل للدلالة على استحاله وقوعه[2] مثل قوله تعالى : [إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط][3] .

٤ — مجاراة الخصم لافحامه :

وذلك بأن تسلم للخصم بعض مقدماته مع الإشارة إلى أنها لا تنتج مايريده هو بل هى مساعدة على إنتاج ماتريده أنت وذلك مثل قوله تعالى : « قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين قالت

(١) استخراج الجدال من القرآن ص ٧ ابن الحنبلى مخطوط رقم ٣٤٠ دار الكتب رقم ٦٦٩

(٣) الإتقان ج ٤ ص ٥٧ السيوطى (٢) الأعراف ٤٠

لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده »[1] .

فكأن الرسل عليهم الصلاة والسلام قالوا فى الرد على المنكرين لنبوتهم ما أدعيتم من كوننا بشراً حق لا ننكره ولكن دعواكم هذه لا تنتج عدم الرسالة ولا تنافى أن يمن الله علينا بها بل البشرية شرط فى الرسالة إلى عامة البشر فإن سنة الله جرت بأن يكون الرسول من جنس المرسل إليهم يعرفون قدره وصدقه وأمانته يقول الله موضحاً ذلك : [وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين انزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا][2] .

وواضح أن مجاراة الخصم فيها تسليم لبعض المقدمات مع بيان أن هذه المقدمات غير مانعة من نقيض قصدهم فهى مراد لا يمنع من الإيراد وفى مجاراة الخصم اجتذاب له وإذا سلمت بعض مقدماته فعليه أن يسلم بالنتائج الصحيحة وإلا وقع فى الإلزام .

٥ — الاستدلال بالتعريف :

إن الاستدلال بالتعريف : هو أن يؤخذ من ماهية موضوع القول دليل الدعوى[3] .

وذلك بأن يتخذ المحاور من حقيقة الأصنام دليلا يثبت على أنها لا تصلح أن تكون معبوداً أو أن يتخذ من بيان صفات دليلا على أن يكون الله وحده المستحق للعبادة .

وهذا النوع من الاستدلال موجود بكثرة فى القرآن نذكر منه على

(١) إبراهيم ١٠—١١ (٢) الإسراء ٩٥
(٣) الشيخ محمد أبو زهرة المعجزة الكبرى ص ٣١٦

سبيل المثال: ما استخدمه إبراهيم عليه السلام لإثبات أن الأصنام لا تستحق العبادة .

فها هو يقول لأبيه : يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا[1] .

ويقول لأبيه مع قومه
ما هذه التماثيل التى أنتم عاكفون[2] .
أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم[3] .
« إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً »[4] .
« فراغ إلى آلهتهم فقال : ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون »[5] .

وها هو يبنهال عليها ضربا باليمين ويتركها جذاذاً إلا كبيراً لهم ولما يسأل : « أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم » يقول : « بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون »[6] .

إن الآيات السابقة وما احتوته من استفهامات انكارية وتعجبات توبيخية كان القصد منها أن يبين عليه السلام أن ما لا يسمع شيئا من المسموعات ولا يبصر شيئاً من المبصرات ولا يجلب نفعاً ولا يدفع ضرراً لا يستحق لعبادة إذ العبادة غاية منتهى التعظيم فلا يستحقها إلا الخالق النافع الضار وقد أخرج كلامه عليه السلام عندما قال فاسألوهم إن كانوا ينطقون ، مخرج التعريض لهم بما يوقعهم فى الاعتراف بأن الجمادات التى عبدوها ليست بالهة[7] .

(١) مريم ٤٢ (٢) الأنبياء ٥٢
(٣) الأنبياء ٦٦ (٤) العنكبوت ١٧
(٥) الصافات ٩١ — ٩٢ (٦) الأنبياء ٦٣
(٧) الشوكانى الفتح القدير جـ ٣ ص ٤١٤ .

قال القرطبي فى تفسيره : بين أن من لا يتكلم ولا يعلم لا يستحق أن يعبد وكان قوله من المعاريض ليقولوا ، أنهم لا ينطقون ولا ينفعون ولا يضرون فيقول لهم : فلم تعبدونهم ؟ فتقوم الحجة عليهم منهم[1] .

وقد بين الشيخ المراغى وقع الحجة وتأثيرها على من قامت عليهم بقوله :

وقد كانت مقالة إبراهيم عليه السلام قوية الحجة شديدة الوقع فى نفوسهم وكأنما ألقمهم حجراً وذلك ما أشار إليه بقوله [فرجعوا إلى أنفسهم[2] بالملامة إذ علموا أن ما لا يقدر على دفع المضرة عن نفسه ولا على ألحاق الضرر لمن ألحق به الأذى يستحيل أن يقدر على دفع مضرة من غيره أو جلب منفعة له وإذا فكيف يستحق معبوداً][3] .

وإذا نظرنا فى استدلال إبراهيم عليه السلام أمكن تقريره كما يلى :

إن الأصنام أو التماثيل إنما هى جمادات ميتة لا تتكلم ولا تعلم ولا تستطيع أن تجلب منافع ولا أن تدفع ضرراً .

وكل ما كان حاله كذلك لا يستحق تقديراً ولا تعظيما ولا يصح فى العقل أن يتصف بالألوهية من لا يملك حولا ولا قوة ، فالأصنام إذن ليست حقيقة بأن تتصف بالألوهية وليست جديرة بأن تعبد والمهم أن إبراهيم عليه السلام قد أتخذ من ماهية الأصنام ومن التعريف بحقيقتها دليلا أو أدلة على عدم امتلاكها مؤهلات الألوهية وعدم استحقاقها للعبادة .

---

(١) القرطبي التفسير جـ ٩ ص ٣٤٠ .
(٢) الأنبياء ٦٤ .
(٣) المراغى التفسير جـ ١٧ ص ٤٩ .

٦ — الاستدلال بالتجزئة

التجزئة : هى أن تذكر أجزاء الموضوع المراد بيانه وبتتبع تلك الأجزاء وتحليلها وتشريحها وتقييمها يكون الحكم عليها بالإثبات أو النفى أى إثبات ما يراد إثباته وذلك بالتدليل على إبراز مقومات الصحة فيه حتى يقع ترسيخه وتدعيمه ونفى ما يعارضه وذلك بإقامة الحجة على بطلانه[1] .

والتنبيه على فساده وقد استعمل القرآن فى حواره الاستدلال بالتجزئة إذ أنه كثيراً ما يتناول آياته الحكيمة ويجزئها ليبين أن كل جزء منها يصلح وحده أن يكون دليلا على ما يراد إثباته أو بطلانه .

إثبات أن الله حقيق وحده بالعبادة :

أولا : التبكيت الإلزامى :

« قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أما يشركون[2]

إن هذه الآية تضمنت أمراً موجها لرسول الله بأن يحمد الله ويثنى عليه ويشكره على ما أعطى من نعم .

وعلى ما وهب من خيرات وأن يسلم على الذين اصطفاهم لأنهم بينوا آيات الله وتحملوا ما اقتضته من أتعاب حتى نصرهم الله وأهلك أعداءهم لتكذيبهم آيات الله على الرغم من ظهورها ووضوحها وإذا كان الله من أفعاله الحكيمة أنه يبعث الرسل ويصطفيهم ليبلغوا هداياته وإذا كان الله من عاداته أن ينصر عباده ويؤيدهم ويظهرهم ويهلك من أعرض .

---

(١) د / محمد التومى ص١٨ فى القرآن فعالية فى بناء العقلية الإسلامية
(٢) النمل ٥٩ .

وإذا كانت الأصنام لم تستطع أن تدافع عمن والاها ولا يمكن أن تبعد عنه ضرراً فمن أولى بالعبادة والشكر والحمد ؟

« أ الله خير أما يشركون » .

أنه استفسار إنكارى فيه تهكم وتقريع وموازنة جارية على أساليب العرب التى تسمح بأن تقارن بين السعادة والشقاء إذ أنه من البين أنه ليس فيما أشركوا به تعالى شائبة خير حتى يوازن بينها وبين من لا خير إلا خيره ولا إله إلا هو ومن هنا قيل أن النبى ﷺ لما سمع هذا قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم[1] .

ثانيا : الدعوة لاستقراء بعض أجزاء الكون :

ونلحظ هذا فى قول الله تعالى « أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون »[2].

(١) الشيخ أحمد مصطفى المراغى التفسير جـ ٢٠ ص ٦

(٢) النمل ٦٠ .

الخاتمة

وبعد : —

فإن القرآن بتوضيحه للحوار وبيانه لأساليبه قد وضع للناس الخطة التى تمكنهم من معرفة كيف يصلون إلى العدل فى القول والعدل فى تحليل الموضوعات والعدل فى استمداد النتائج العادلة والمثمرة وذلك برسمه للمنهج الذى يحقق الموضوعية فى الضوابط الآتية : —

١ — أن يكون الهدف الوصول إلى الحق ولا شىء غير الحق .

٢ — أن تكون مطية الوصول إقامة الحجج الواضحة والادلاء بالشهادات الظاهرة .

٣ — أن يتوفر المناخ الملائم للحوار وهو توفير الحرية والبعد عن الاكراه .

٤ — التجرد عن المطامع الذاتية والتخلص من التلاعب بالعواطف .

٥ — الابتعاد — كلية — عن أسلوب السب والشتم وسوء الظن وما أحوج المسلمين إلى التمسك بهذه الموضوعية القرآنية فى تعاملها مع بعض فى حالتى الإتفاق والاختلاف وخير ما نختم به هذا البحث قول الله تعالى. « أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن »[1] . والله ولى التوفيق ؟

د . شوقى إبراهيم على عبد الله
أستاذ مساعد بقسم العقيدة

١ / ٥ / ١٩٩٢ م
ذو العقدة ١٤١٢ هـ

(١) النحل ١٢٥

أهم المراجع

١ — القرآن الكريم
٢ — صحيح مسلم ط مصطفى الحلبي
٣ — الإحياء للغزالي - ج ١ ، أدب الاختلاف في الإسلام د / طه جابر فياض ط ١٩٨١
٤ — آداب البحث والمناظرة - الشيخ محمد الأمين
٥ — أساس البلاغة - الزمخشري
٦ — أسلوب المحاورة في القرآن - د / عبد العليم حفني
٧ — الله - العقاد
٨ — أدب الحوار والمناظرة — د / علي جريشة ط دار الوفاء بالمنصورة سنة ١٩٨٩ م
٩ — بدائع القرآن لابن أبي الاصبع المصري ط ١٩٥٧ م
١٠ — التفسير - الشيخ أحمد مصطفى المراغي
١١ — التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي ط إحياء التراث ج ٢١
١٢ — تفسير ابن كثير
١٣ — التفسير الموضوعي - سورة الإسراء - د / محمد البهي
١٤ — التفسير الحديث محمد عزة دروزة
١٥ — التفسير القيم - ابن القيم
١٦ — التفكير فريضة الإسلام - عباس العقاد
١٧ — التحرير والتنوير - الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور
١٨ — الجامع لأحكام القرآن - القرطبي ج ٢
١٩ — حوار الوسول ﷺ - د / محسن بن محمد - دار الدعوة

٢٠ — الحوار - الشيخ خلف محمد
٢١ — رسالة الآداب - الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد
٢٢ — سيرة ابن هشام
٢٣ — استخراج الجدال من القرآن - ابن الحنبلي مخطوط دار كتب رقم ٦٦٩
٢٤ — العلم يدعو إلى الإيمان - موريس كويسون
٢٥ — المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني
٢٦ — المنقذ من الضلال - الإمام الغزالي - الأنجلو المصرية ١٩٥٥م
٢٧ — مناهج الجدل في القرآن - د / زاهر عواض
٢٨ — المعجزة الكبرى - الشيخ محمد أبو زهرة
٢٩ — ماهية الجدل - د / محمد التومي

فهرس

الموضوع	الصفحة
المقدمـــة	٣—٤
قيمة الحوار	٥
آداب الحوار	٧—٨
هل هناك فرق بين الحوار والجدال و المناظرة والمناقشه	٩
خصائص الحوار على ضوء القرآن	١٧
التنوع	١٧
الاعتماد العقلى	١٩—٢١
الموضوعية فى الحوار	٢٢—٢٦
انصاف الخصم	٢٧—٢٩
عدم ايذاء الخصم	٣٠—٣١
تحديد الغاية من المحاورة	٣٣—٣٥
من دواعى وجود الحوار فى القرآن	٣٦—٣٩
نقد العقيدة السائدة وبيان انحرافها	٣٧
الرد على الشبه التى تثار حول العقيدة	٤٠—٤٢
نماذج من طرق الاستدلال القرآنى فى الرد على الخصوم	٤٣
١ — التسليم	٤٣
٢ — الانتقال فى الاستدلال	٤٤
المناقضة	٤٥
مجاراه الخصم لإفحامه	٤٥
	٥٤

الموضوع	الصفحة
الاستدلال بالتعريف	٤٦
« بالتجزئه	٤٩
التبكيت الإلزامى	٤٩
الدعوة لاستقراء بعض أجزاء الكون	٤٩—٥٠
الخاتمه	٥١
المراجع	٥٢—٥٣
فهرس	٥٤—٥٥

والله المستعان وعليه التكلان ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم

القاهرة فى يوم ١ / ٥ / ١٩٩٢ م

دكتور / شوقى إبراهيم على عبد الله

قسم العقيدة والفلسفة

كلية أصول الدين القاهرة

جامعة الأزهر